

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:  
قال: وأَعْظُمَ ما أَمَرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادةِ وأَعْظُمَ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةٌ غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]: التوحيد أعظم ما أمر الله به وله ما بعده وبدونه لا قيمة لشيء، فما التوحيد؟ التوحيد في اللغة: جعل الشيء واحدًا، مثال: إذا كان عندنا الكلية أو المدرسة عدة فصول وقاعات فقررنا توحيدها، ما معنى توحيدها؟ يعني ضمها إلى بعض، ولكن المراد به هنا: اعتقاد أن الله واحد، ولذلك كان التوحيد بالمعنى الاصطلاحي يعني: إفراد الله سبحانه وتعالى - بماذا؟ - بالربوبية وبالعبادة وبالأسماء والصفات.

## ✽ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: توحيد الربوبية:** ومعنى توحيد الربوبية: هو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لا خالق سواه، وهو المالك لا مالك سواه، وهو المدبر لا مدبر سواه. وبعبارة أخرى: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير؛ لأن هذه الثلاثة عليها مدار الربوبية وبقية صفات الربوبية ترجع إلى هذه الثلاثة، فتوحيد الربوبية توحيد قد فطر عليه جميع الخلائق الإنس والجن الطير والبهائم، فالله تعالى قد فطر جميع المخلوقات على توحيد في ربوبيته، ولم يكن مخالفو الرسل ينازعون في توحيد الربوبية أبدًا. بل كانوا يقرون جميعًا بأن الله تعالى هو الخالق والملك والمدبر سبحانه وبجمده، ولا يعرف أحد من البشر أنكر توحيد الربوبية إلا أفراد قلائل وشواذ في الآفاق، ومن أشهر من عُرف بتظاهره بإنكار الربوبية فرعون حينما قال: { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء: 23]!!؟ لكنه قال ذلك من لسانه تكبرًا وتجبّرًا، فإن الله سبحانه وتعالى قد نعى عليه وعلى قومه، فقال تعالى: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: 14] ، وقال له موسى عليه السلام: { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [الإسراء: 102] ، وأيضًا مشركو العرب الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ما كانوا ينكرون توحيد الربوبية، قال تعالى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } [الزخرف: 9] { لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [الزخرف: 9] ، وكانوا يذكرون اسم الله عز وجل في أمور كثيرة لكنهم كانوا يفسدون ذلك بالشرك. إذن توحيد الربوبية هو توحيد الله بالخلق والملك والتدبير.

**القسم الثاني: توحيد الإلهية:** ويسمى أيضًا توحيد العبادة، والمقصود به: إفراد الله بالعبادة، بمعنى ألاّ يصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، فجميع صور العبادة تصرف لرب العالمين سواء كانت تلك العبادة عبادة قلبية: كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل، أو كانت عبادة لسانية: كالدعاء والذكر وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو كانت عبادة مالية: كالصدقة والزكاة، أو كانت عبادة بدنية: كالصلاة والحج والجهاد في سبيل الله وإماطة الأذى عن الطريق .

وتوحيد العبادة أو توحيد الإلهية معناه : إفراد الله تعالى بالعبادة بحيث لا يصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، وهذا هو ما بعث الله به أنبيائه جميعاً، فإن مهمة الأنبياء تعيين الناس لرب العالمين ونفي الشركاء عن الله عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: 25]، وقال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل: 36] ؛ فلذلك لا بد من الجمع بين الأمرين: عبادة الله، واجتناب الطاغوت معاً حتى يتحقق التوحيد .

ومعنى كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله): أي لا معبود بحق إلا الله، ففيها نفي كل معبود سوى الله، وإفراد العبودية وحصرها في الله عز وجل، وهذا النوع من التوحيد هو معترك الصراع وحلبة النزاع بين الأنبياء وأقوامهم، فقد كان الأنبياء يبادئون أقوامهم بجملة واحدة متكررة - كل رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومه يبادئهم بهذه الجملة - { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف: 59] ، قالها نوح عليه السلام وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام، كما ذكر الله ذلك في سورة الأعراف والشعراء إلى أن انتهت النبوة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقالها صريحة مدوية: ( اعبدوا الله )، قولوا: لا إله إلا الله، فهذه القضية وهي توحيد الإلهية أو توحيد العبادة هي الفيصل للنزاع ومفترق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك .

**القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:** وهو أن يعتقد العبد أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يشاركه ولا يماثله أحد في أسمائه وصفاته، وقد جرى الخلف في هذا النوع بين أهل القبلة، لا بين المؤمنين و المشركين، بل بين أهل القبلة أي المنتسبين إلى الإسلام، فقد نازع في هذه القضية على درجات متفاوتة المخالفون من أهل التعطيل ومن أهل التمثيل، وهدى الله أهل الإيمان والسنة إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ فصاروا يشبتون ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه من غير تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وينفون عن الله تعالى ما نفى عن نفسه في كتابه أو ما نفى عنه نبيه صلى الله عليه وسلم .

### وتختلف تقسيمات العلماء للتوحيد:

- فمن العلماء من يقسم التوحيد إلى هذه الأقسام التي ذكرتها.
  - ومنهم من يقسمه تقسيماً فنياً آخر لا يعارض التقسيم الثلاثي، فيقول **التوحيد نوعان:**
- النوع الأول: توحيد في المعرفة والإثبات:** ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.
- النوع الثاني: توحيد القصد والطلب:** وهو توحيد الإلهية أو توحيد العبادة، فلا تعارض بين التقسيم الثنائي والتقسيم الثلاثي، وزيادة في الإيضاح نقول: أن توحيد "المعرفة والإثبات" يسمي أيضاً التوحيد العلمي، التوحيد الخبري، التوحيد النظري كلها أسماء لمسمي واحد، أما توحيد "القصد والطلب"، فإنه يسمي التوحيد العملي، وتوحيد العبادة، وتوحيد الإلهية كلها أسماء لمسمي واحد، فالنوع الأول: توحيد المعرفة والإثبات دلت عليه سورة الإخلاص { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) }، والنوع الثاني: توحيد القصد والطلب، فقد

دلت عليه سورة الكافرون { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ  
مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) } ، ولأجل ذلك كان نبينا صلي الله عليه وسلم  
يحتفي بهاتين السورتين حفاوة تامة ويشرع للأمة قراءتها في مناسبات عدة مثال ركعتي الطواف، وركعتي الفجر، وفي صلاة  
الوتر، وكذلك في أورد الصباح والمساء مضمومتان إلي غيرهم، وما ذلك إلا لعظيم فضل هاتين السورتين، وتضمنهما  
للتوحيد بجميع أنواعه.

قال: وأعظم ما نهى عنه الشرك: قال تعالى { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: 13]، وقد جعله النبي صلي الله عليه  
وسلم أعظم الظلم، فلما تلا النبي صلي الله عليه وسلم قوله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ  
وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: 82] فشق ذلك علي الصحابة وقالوا: يا رسول أينا لم يظلم نفسه، فقال إنه ليس الذي تعنون  
ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: 13]؟، فالظلم المحذور هو الظلم الذي هو الشرك  
بالله، قال تعالى منفراً من هذا: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }  
[المائدة: 72]، وقال تعالى: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ  
{ [الحج: 31].

واعلم أن الشرك يهدم الإنسانية ويهدم العبودية، ويحبط العمل، ويبيح الدم والمال؛ ولذلك قال تعالى: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ  
فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: 48] ، وفي آية أخرى: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: 116]،  
فإن الله لا يقبل من مشرك عملاً، قال تعالى: { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ } [التوبة:  
54] ، ففي الدنيا لا يقبل من مشرك عملاً، قال تعالى في الحديث القدسي: [أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً  
أشرك معي فيه غيري تركته وشركه]، وأما في الآخرة فإن الله يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ  
عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا } [الفرقان: 23] ، وقال تعالى { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ  
عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الزمر: 65] ، فيجب أن يكون عمدة دعوتنا الدعوة إلي التوحيد والتحذير من الشرك،  
فقبل أن نحذرهم من الشهوات والمعاصي نحذرهم من الشرك بالله؛ لأنه إذا صلحت قلوبهم تخلصوا من تبعات ذلك من  
المنكرات والمعاصي، وقد سئل النبي صلي الله عليه وسلم، فقيل له: [أي ذنب أعظم؟]، قال: أن تجعل لله نداً وهو  
خالقك].

والظلم: هو النقص، وقال في الحديث أيضاً: [من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل  
النار]، فمن وحد الله توحيداً تاماً دخل الجنة تلقائياً، ومن وقع في توحيد شياً من الكبائر فهو تحت المشيئة والإرادة إن  
شاء الله عفا عنه ثم أدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، لكن ما له إلا الجنة لأن عنده أصل التوحيد، وأما من أشرك  
بالله فإنه لا ينفعه أي عمل صالح حتى لو قام بأعمال خيرية في الدنيا قد تنفعه في الدنيا بتوسعة الرزق والصحة في البدن  
لكنها تحبب في الآخرة، وحقيقة الشرك: مساواة غير الله بالله فيما يختص به الله.

## ✽ الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر.

النوع الثاني: شرك أصغر.

فالشرك الأكبر: قلنا مساواة غير الله بالله فيما يختص به الله في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات، فقد يقع الشرك في الربوبية بأن يعتقد خالقًا مع الله، أو مالكًا مع الله، أو رازقًا مع الله، أو مدبرًا مع الله، والشرك في الألوهية: هو أن يعبد غير الله، والشرك في الأسماء والصفات: أن يعتقد أحدًا يتصف بصفات مماثلة لصفات الله، وفرعون قد وقع في الشرك بجميع أنواعه والكفر بجميع أنواعه.

وأما الشرك الأصغر: فيتعلق ببعض الألفاظ والأعمال التي لا تبلغ مبلغ الشرك الأكبر فلذلك يعرفه بعض العلماء بأنه: ما لم يبلغ حد الشرك الأكبر.

## ✽ الشرك الأكبر يفترق عن الشرك الأصغر في عدة أمور:

الفرق الأول: الشرك الأكبر مخرج عن الملة، بينما الشرك الأصغر لا يخرج عن الملة.

الفرق الثاني: الشرك الأكبر لا يغفره الله تعالى أبدًا، بينما الشرك الأصغر مختلف فيه، فمن العلماء من يقول: يغفر كالكبائر، ومنهم من يقول: لا يغفر ولكن يدخل في الموازنة بين الحسنات والسيئات.

الفرق الثالث: الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار مع فرعون وقارون وهامان، بينما الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار، ومآله إلى الجنة حتى لو عذب بمقدار ما معه من شرك أصغر.

فإذا قيل لك: ما الشرك الأصغر؟ فهو كما قلنا:

- ما يتعلق ببعض الألفاظ: كالحلف بغير الله، أو قول: ما شاء الله و شئت، أو مطرنا بنوء كذا وكذا.
- ما يتعلق ببعض الأعمال: كمن اعتقد شيئًا سببًا وليس بسبب كالذي يربط الحلقة والخيط أو يستعمل التمام والرقمي علي وجه معين فهذا يدخل في الشرك الأصغر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.